الفصل التاسع

القصر الامبراطوري

متى كانت الراية الحمراء خافقة على زوايا القصر الملكي في برلين كان ذلك مؤذنًا بوجود الامبراطور في القصر. فاذا خرج أنزلت. أما في أيام الحفلات الكبرى فالراية الامبراطورية الصفراء تقوم مقام الراية الحمراء

في هذا القصر جرت أهم حوادث تاريخ المملكة البروسية ثم ما تلاها بعد تأسيس الامبراطورية الالمانية. وفي هذا القصر نزل الامراء الاجانب الذين وافوا العاصمة الالمانية بعد الحرب السبعينية لتقديم التهاني لامبراطور المانيا الجديد. وفيه ايضًا كان يقيم الامبراطور والامبراطورة واولادهما والحاشية الامبراطورية الى ان كانت الحرب الكبرى فغادروها ولكل زمان دولة ورجال

اما القصر فبناية فخمة ذات اجنحة شتى بنيت تباعًا في عدة قرون متوالية. طوله اربع مئة وستون قدمًا واعظم ارتفاع فيه مئة قدم. اما ابوابه الحديدية الكبرى ولا سيما الباب الكبير فمزخرفة بنقوش رائعة. اما سائر الابواب الصغرى التي كانت عامة الناس في سالف الازمان تدخل منها الى القصر فمقفلة كلها ووراء كل باب منها حارس.

على ان فريدريك غليوم الثالث والامبراطور غليوم الاول خرجا عن القاعدة المرعية فكانا يقيمان في قصر آخر في برلين.

أما غليوم الثاني فقد أقام في احد اجنحة القصر المشرفة على نهر « سبراي » يوم كان يدعى البرنس غليوم. وفي عهد ابيه. حتى اذا تولى العرش اتخذ الدور الاول مقرًا له بعد ان اصلحه وجدده

وفوق الباب الكبير الذي كان يدخل الامبراطور منه الى دوائره ردهة النجوم ستيرنسال) وسميت كذلك لان سقفها الناصع البياض مزدان بنجوم من ذهب

وطول هذه الردهة ستة عشر متراً في عرض احد عشر وهي مرصودة للاحتفالات العسكرية . وفيها مودعة أعلام ورايات حامية برلين وفيها ايضاً نموذجات كبرى لغير واحدة من البوارج الحربية . وفي الطرف الشرقي منها غرفة المساعدين (في الخدمة) وفي الطرف الآخر تبتدىء الدوائر الامبراطورية . واول حجرة يبلغ اليها كانت في عهد فريدريك الثاني غرفة المقابلات ولا تزال كذلك الى اليوم . وهي مغشاة الجدران بالقطيفة الحريرية الخضراء الصافية والرسوم التاريخية الثمينة . والى جانبها غرفة شغل الامبراطور الخصوصية ووراء هذه باب يفضي الى « ردهة المفاوضات » وفي هذه الردهة خزانتان من خشب الارز المطلي بالبرونز وهما من اربع خزائن كان فريدريك الكبير (١٧٧٠) يعرض فيها مجموعة النقود والانواط وفي احدى هذه الخزائن كانت مجموعة مذكرات الامبراطور فريدريك الخطية .

ثم وراء حجرة المقابلات وغرفة الشغل غرفة النوم الامبراطورية وبعدها غرفة التزين . وبعد ردهة المفاوضات حجرة تصل بين دوائر الامبراطور ودوائر الامبراطورة . واول ما يوصل اليه بهو (صالون) الامبراطورة وفيه جمعت الكنوز الفنية الثمينة التي يملكها الامبراطور . منها ثلاثة رسوم للرسام الفرنسوي الشهير « واتّو » واحد منها يقدرونه بمليون فرنك. وبعد هذه الحجرة غرفة نوم الامبراطورة وفي صدرها صورة كبرى تمثل الملكة لويز يوم كانت زوجة ولي العهد ورسم آخر نصفي يمثل الامبراطور فريدريك في صباه . الى غير ذلك من الرسوم الجميلة

وبعد غرفة النوم غرفة الشغل وغرفة التزين والتبرج ، والرياش الثمين والزهور الطبيعية والاصطناعية في هاتين الغرفتين في الدرجة القصوى . والى جانب غرفة التزين غرفة الحمامات البيضاء الذهبية وفي احدى زواياها مغطس بديع الصنع من النحاس اللماع والى جانبه مرآة كبيرة كعين الديك او اصفى .

وفي جهة غرفة الحمامات باب يفضي الى سلم حديدي بشكل لولب يؤدي الى دوائر انجال الامبراطور في الدور الثاني

ثم وراء الغرف الثلاث التي ذكرناها مكتبة الامبراطورة وجدرانها مغشاة برسوم ملوك بروسيا وبعض الملوك الاجانب مثل فريدريك غليوم الاول المنتخب الاكبر

وفريدريك الكبير وبطرس الاكبر قيصر روسيا وماري تريز ملكة النمسا .

اما الردهة التي يتناول الامبراطور والامبراطورة فيها الطعام فواسعة تمسح تسعة عشر متراً طولاً في عرض سبعة امتار ولها اربع نوافذ كبرى وفي احد طرفيها باب يفضي الى حجرة الخدم .

بقيت لنا كلمة عن غرف الاستقبال واهمها من الوجهة التاريخية الردهة البيضاء . ومساحتها تزيد على ست مئة متر وهي مع ذلك اصغر ردهة استقبال بالنسبة الى سائر القصور الملكية في اوربا . في هذه الردهة تماثيل اكثر ملوك بروسيا وفي احدى زواياها العرش

وتتصل الردهة البيضاء بمصلى القصر وفيه تقام الاحتفالات الدينية . وقبة المصلى قائمة على ستة عمد وهي ذهبية ولها كوى زرقاء سماوية رسمت فيها ملائكة باسطة اجنحتها . واما الهيكل فمن الرخام المشغول بالفسيفساء وفوقه مظلة قائمة على عمد من المرمر الابيض الشرقي قدّمه الى ملك بروسيا هدية مؤسس الاسرة المحمدية العلوية المغفور له محمد علي باشا خديوي مصر . واما قمة بيت القربان فمن الباغة المذهبة المغشاة بالحجارة الكريمة . وفوق الباب صليب فضي مذهب يساوي مليوناً من الفرنكات

والى الجانب الآخر من الردهة البيضاء ما يسمونه بغرف الملكات . وهذه الغرف تؤدي الى رواق الرسوم وهو ستون متراً طولاً في ثمانية امتار عرضاً . في هذا الرواق كان يوضع في الاحتفالات الكبيرة — كحفلة عيد وسام النسر الاسود مثلاً — خوان يجلس اليه لا أقل من مئة مدعو . واحرِ بهذا الرواق ان يدعى رواق اجداد الاسرة المالكة لان الرسوم الماثلة جدرانه لاتعدو رسوم ملوك بروسيا وسائر الرؤوس المتوجة ممن تجمعهم بهم صلة قربى

ووراء هذا الرواق المصلى الملكي القديم ثم غرف تتصل بالردهة المعروفة بردهة الفرسان واهم ما فيها مقصف فضي مشهور صنع في اوغسبورغ سنة ١٦٩٨ . والى جانب هذه الردهة غرف الاستعراض التي يجتمع فيها في الاحتفالات وهي ممتدة الى ما وراء الردهة البيضاء

والقصر الملكي منار بالكهرباء من عهد غليوم الثاني . الا الردهة البيضاء فقد كانت ادخلت اليها الكهربائية منذ سنة ١٨٨٢ وكان القصر قبل هذا التاريخ ينار بالشموع لان غليوم الاول كان يكره التنوير بالغاز

وكانت فصائل من رجال الخفر لاتبرح سطوح القصر ليل نهار مخافة النار

اما في فصل الصيف فان الاسرة الامبراطورية تنتقل الى قصر بوتسدام الجديد وهو ذو اربعة اجنحة وطول واجهته ٦٨٠ قدمًا بناه فريدريك الكبير بعد عقد صلح هوبرتسبورغ وانفق عليه ستة ملايين فرنك . وفي اعلى واجهة القصر قبة منقوشة فيها رسوم ثلاث من النسوة متوّجات . ويقال انه اراد الرمز بها الى خصيماته الثلاث الامبراطورة ماري تريز النمسوية والامبراطورة اليزابت الروسية والمركيزة دي بومبادور الفرنسوية

في احدى غرف هذا القصر ولد الامبراطور فريدريك والد غليوم الثاني وفي غرفة اخرى منه توفي . وفي الردهة الكبرى عرضت جثته . كل هذه الغرف كانت لاتستعمل وكذلك الجهة التي كانت فيها مكتبة فريدريك الكبير حيث وجدت نسخة من آثار الملك وكتاباته معلقًا عليها بقلم فولتير . ومع ذلك يبقى للاسرة الامبراطورية في هذا القصر اثنتان وستون غرفة مفروشة بالرياش الثمين . اما غرفة شغل الامبراطور ففي الدور الاول منها والى جانبها غرفة المقابلات . ووراء القصر بنايتان متصلتان احداهما بالاخرى للحاشية والخدم . وبين الثنتين المطابخ الامبراطورية وهي متصلة بالقصر بسكة حديدية كهربائية تسير تحت الارض حاملة اليه اصناف الطعام والوانه المختلفة

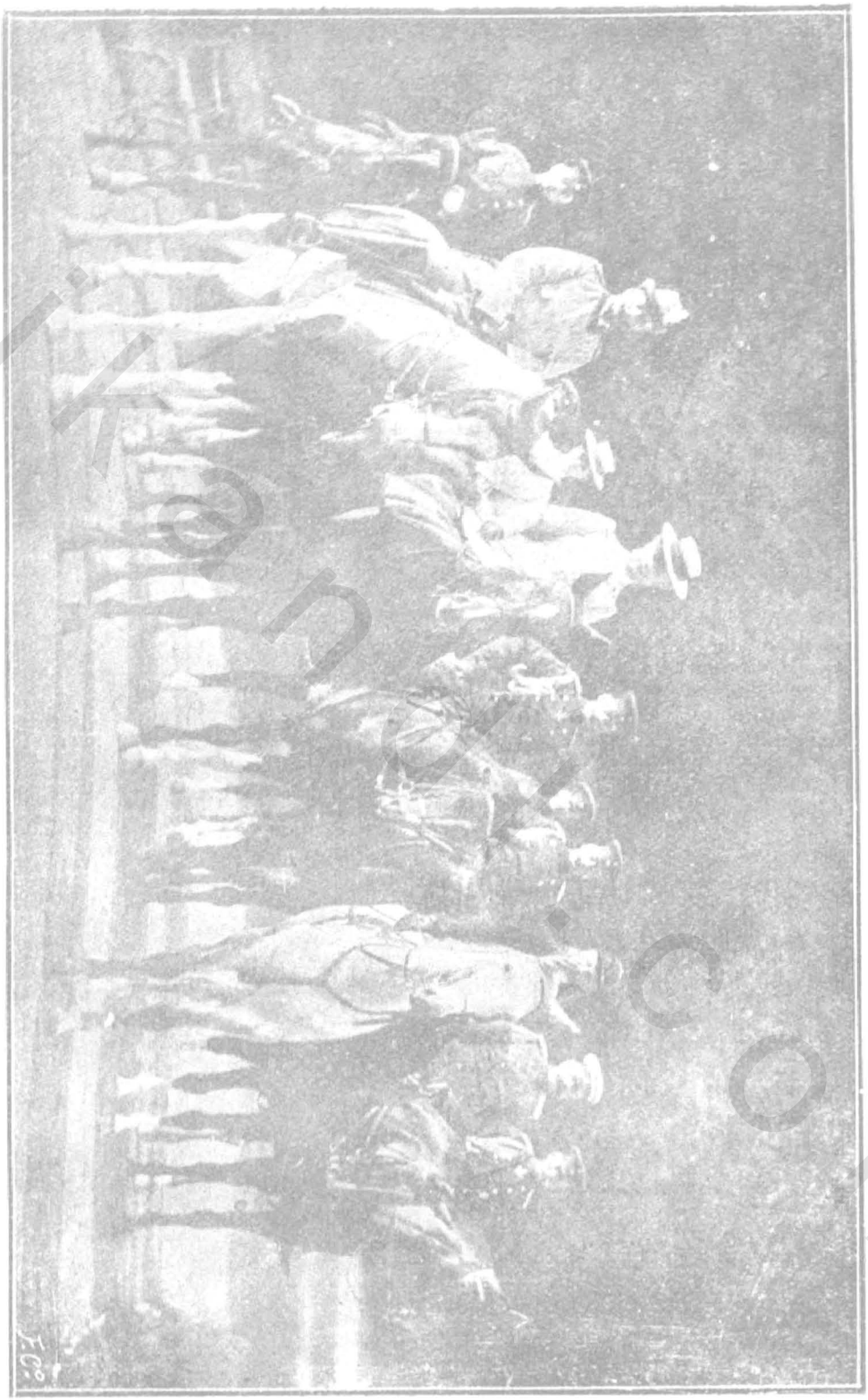

الامبراطور والامبراطورة وكريمتهما في نزهة
(بين الامبراطور والامبراطورة الى الوراء الكونتة اولنبورغ)

obeikandl.com

الفصل العاشر

غليوم الثاني على المائدة — الايرادات الامبراطورية

كان الامبراطور والامبراطورة شديدي الاهتمام بشؤون مطبخهما كسائر افراد الناس . ففي كل يوم يصدران الاوامر الى الطهاة بما يجب اعداده في ذلك اليوم من الوان الطعام . بل ان غليوم الثاني ذهب الى ابعد مما ذهب اليه اسلافه من ملوك بروسيا . فهو اول واحد تفقد المطابخ في معية مارشال البيت الامبراطوري . بل يقال — وهو امر لا يدهش احداً — انه جمع الطهاة والخدم والقى عليهم خطبة توافق المقام . وقد قدر العارفون ان طعام الغداء في القصر الامبراطوري كان في الايام الاعتيادية يكلف سبعة مركات ونصف عن كل فرد . اما في ايام المآدب الكبرى فتتراوح الكلفة بين ٢ و ٢٤ و ٣٠ مركاً واحياناً تزيد

وتتناول الاسرة الامبراطورية اعتياديًا ثلاث وجبات في النهار . اما غليوم الثاني فذو شهية كبرى ونفس طيبة . والامبراطورة تشاركه في تناول الطعام حتى في ايام عرض الجيوش حين يضطر الامبراطور الى تناول الوجبة الاولى نحو الساعة السادسة

وميعاد الوجبة الثانية الساعة الثانية بعد الظهر . واكثر ما يدعو الامبراطوران الى طعام الغداء . ومدعوّو الامبراطور من جميع الطبقات الراقية من علماء وكتاب ورسامين ونقاشين وكبار الموظفين والمهرجين . واكثر ما يحب الامبراطور من الوان الطعام اللحوم والاسماك والمحار

وميعاد الوجبة الثالثة الساعة الخامسة او السادسة اما المآدب الكبرى ففي الساعة السابعة

ثم ان المدعوين الى تناول الطعام على المائدة الامبراطورية يكاشفون — على ورقة الدعوة نفسها — بما يجب ان يكونوا مرتدين به من الثياب وغير ذلك من الملاحظات

اما مدة المكوث على الطعام فخمسون الى خمس وخمسين دقيقة . ولكل اثنين من المدعوين خادم مخصوص . وبعد الطعام يجتمع المدعوون في ردهة الفرمان حيث يأخذون القهوة

***

كان نوع الحكومة البروسية قبل خامس كانون الاول – دسمبر ١٨٤٨ ملكيًا مطلقًا فلم يكن من فرق جوهري بين نفقات المملكة ونفقات بيت الملك . وكان الملك يستوفي من ريع املاك الحكومة كل ما يحتاج اليه من المال دون وازع او رقيب . وما يتبقى يضاف الى حاصلات الرسوم (الضرائب) ويرصد لسائر احتياجات المملكة ولكن لما نضبت موارد المملكة بعد الحروب النابوليونية واصبحت الدولة البروسية على شفا جرف هار رأى الملك فريدريك غليوم الثالث ان يتنازل بطيبة خاطر عن حقه في استيفاء المال من خزانة المملكة من غير حساب واصدر امراً ملكيًا مؤرخًا في ١٧ كانون الثاني – يناير ١٨٢٠ بجعل املاك الحكومة ضمانًا للديون المتراكمة بسبب النفقات الحربية الباهظة وأرصد لنفسه ولعائلته دخلاً سنويًا محدوداً يقارب ستة ملايين ومئتين وخمسين الف فرنك

بيد ان هذا المبلغ الزهيد ... اصبح بعد حين غير كاف للنفقات الطائلة التي اقتضاها اتساع نطاق المملكة فزيد تباعًا حتى بلغ في عهد غليوم الاول نحو تسعة عشر مليونًا وست مئة وتسعة واربعين الفًا ومئة وعشرين فرنكاً

يتبين مما تقدم ان مخصصات الخزانة الامبراطورية الخاصة لم تحدد استناداً الى قرار رسمي وافقت عليه المندوتان بل هي من موضوعات فريدريك غليوم الثالث . بيد ان هذه المبالغ نفسها كانت احيانًا لا تكفي فكان لا مندوحة في مثل هذه الحال عن الالتجاء الى الثروة الامبراطورية الخاصة لتسديد العجز

على ان الثروات في بيت هوهنزولرن كانت توزع بطرق غير متساوية . فلقد كان في جملة الموارد المالية الخاصة في هذا البيت ما هو شبه اوقاف والمنتفع الاكبر منها الملك لان عليه واجبات كبرى . وأهم تلك الاوقاف يرتقي الى عهد المنتخب الاكبر فريدريك غليوم ويشمل املاكاً واسعة ذات ريع طائل . ثم يأتي في

الدرجة الثانية وقف فريدريك غليوم الاول ويلقبونه بالملك الجاويش ويتناول ثانية عشر مليون مرك ذهبًا (نحو ٢٢ مليون فرنك) خلفها هذا الملك بعد موته من توفيراته على ان يرصد جانب منها للانفاق عند الضرورات القصوى والجانب الآخر ينفقه الملك في الوجوه التي يريدها من غير تقييد .

وعدا ما تقدم كان للامبراطور غليوم الثاني جانب غير قليل من تركة الدوق دي برونسويك كثروة شخصية لهُ بصفته زعيم اسرته (١)

---

(١) ظهرت في المانيا حديثاً كتب شتى عن غليوم الثاني بعد تنازله عن العرش و اعتزاله في هولندا ، وفي عدادها كتاب عنوانه « هوهنزولرن » ألمع فيه كاتبه وهو الماني الى النزاع الذي قام بين الامبراطور السابق وحكومة الجمهورية على الاملاك الامبراطورية . فمما جاء فيه ان هذه الاملاك كانت تشمل ثلاثة وستين قصراً وخمس عشرة ضيعة كبيرة واثني عشر قصراً من قصور برلين وعشرين منزلاً كبيراً في اشهر احياء برلين وبوتسدام . وقد بلغت قيمة هذه الاملاك قبل الحرب ملياراً من الماركات اي خمسين مليوناً من الجنيهات

وكان غليوم الثاني رجلا تجارياً قاسياً لم ينفق فلساً من غير ان يقيده في دفاتره التي كانت معتنى بها كاحسن دفاتر المصارف المالية الكبرى . ولم يكن يمنح عماله مرتبات كبيرة . فان عمال حدائقه مثلاً كانت تتراوح مرتباتهم بين ثلاثة ماركات في اليوم واربعة وخمسة وعشرة الى العشرين مركا . وكانت تدفع اليهم بدقة تامة اما مشاهرة او مرة كل ثلاثة اشهر

اما المبالغ التي تسنى لغليوم الثاني ان يوفرها في كل سنة فكانت تقدر بخمسين الف جنيه . والفضل في ذلك راجع الى طرقه كثيراً من الابواب التجارية والاقتصادية والى استثماره امواله في وجوه شتى . ولم يكن يجازف بمبالغ كبيرة في عمل واحد بل كان يوزعها توزيع خبير . وهكذا كانت له مبالغ تقدر بمليون وربع مليون جنيه مودعة للاستثمار في عدة شركات ، بين مالية وتجارية ، وشركات كهرباء ، ومعامل استصناع السفن ، وشركات السكك الحديدية ، ومناجم الفحم والحديد . وقد افادته امواله نحو ثلاث مئة وخمسين الف جنيه من قروض برهنيات في برلين كما انه اكتتب في قروض الحرب المختلفة بنحو مليون ومئتي الف جنيه

الفصل الحادي عشر

بلاط غليوم الثاني وحاشيته

يعاون الامبراطور في تأدية واجبه الامبراطوري الخطير وزراؤه ومستشاروه الذين يرفعون اليه تقاريرهم وفي الازمات يوافونه مذاكرين حتى في غير المواعيد الاعتيادية المقررة . ثم عدا هؤلاء يوجد ثلاثة زعماء واحد للمهام الملكية وثاني للمهام العسكرية وثالث للمهام البحرية

ثم ان تحت يد الامبراطور لقضاء المهام الخاصة والمراسلات الشخصية دائرة خاصة برئيسها وكتابها ، والى هؤلاء موكول امر النظر في شؤون الاملاك الامبراطورية الخاصة والاعمال الخيرية

اما حاشية الامبراطور العسكرية فقوامها ياوران في رتبة جنرال يقومان مقام الامبراطور في شهود الحفلات التي لايستطيع شهودها بنفسه ويستقبلان في القصر ويشيعان الامراء الزائرين ويرافقان الامبراطور في روحاته وغدواته ونزهاته

ولا يعد هذا الاكتتاب كبيراً بالنسبة لثروته الواسعة ، ولكن جسامة هذا المبلغ اوهمت الالمانيين انه اكتتب بكل ثروته حينئذ

وقد تناول غليوم الثاني من المانيا منذ اعتزل الى اواخر سنة ١٩٢٠ ثلاثة ملايين و٥٣٤ الفاً و١٧٦ جنيهاً . وقد انفق جانباً كبيراً من هذا المبلغ في شراء قصر « دورن » الذي يقيم فيه مع ما يحيط به من الاراضي الواسعة . وعلاوة على هذا فقد ارسلت اليه من المانيا كميات كبيرة من الامتعة والاثاث والاطباق والاواني الفضية والادوات المختلفة والتحف . حتى يقال ان لديه الآن في دورن الف صحفة من الفضة . عدا ما اشتراه حديثاً من المانيا من الصحاف المذهبة المختلفة الاشكال وما جرى مجراها

ورحلاته . ثم ان هنالك عدداً من القواد حائزين على رتبة ياور اسمياً فقط وهم لايقومون بمقتضياتها الا في اوقات معلومة . اما في الاوقات الاخرى فيشغلون وظائفهم في الجيش . ثم تحت امرة الامبراطور والامبراطورة ستة ضباط اركان حرب لايبرحون ردهة المقابلات ابداً

هؤلاء كلهم لا مرتبات مخصوصة لهم الا مرتبات درجتهم العسكرية . وانما يمتازن عن امثالهم في الجيش بشرائط فضية

اما الاحتفالات الكبرى فموكول امرها الى الحاجب الاكبر والمارشال الاكبر ورئيس موكب الصيد ورئيس السقاة وحامل السلاح الامبراطوري الاكبر . هذه الوظائف كلها موكولة غالباً الى امراء لا مرتبات لهم وهم لايظهرون الا في الاحتفالات الكبرى كاجتماع مجلس وسام النسر الاسود وحفلات التتويج . في هذه الاحتفالات يمشون في الموكب الامبراطوري خلف الامبراطور تماماً ومن حول كل واحد من هؤلاء معاونه واعوانه

اضف الى ذلك القيم العام على دور التمثيل الملكية والمارشال الاكبر ورئيس التشريفات وموجل السفراء الخ . ولمارشالية البلاط اهمية كبرى لان صاحبها موكول اليه قبل كل شيء الاهتمام بشؤون القصر والاحتياجات الشخصية . فكل ما يهم الامبراطور واسرته يهمه . ولذلك فهو ذو صلة دائمة مع الوزارات والادارات العمومية ومجالس البلديات ومجالس الاقاليم الخ . واذا قلنا مارشال البلاط فانما نعني بلاط ملك بروسيا لان غليوم الثاني ليس له مارشال بلاط بصفته امبراطور المانيا . ومع ان هذه الوظيفة ذات نفقات طائلة فان هذه النفقات كلها واقعة على ملك بروسيا وحده . اما امبراطور المانيا فيستوفي في كل عام من الامبراطورية ست مئة الف مرك (٧٥٠ الف فرنك) لتوزيعها على المستحقين من القائمين بخدمة الدولة ورجال الفنون المحتاجين ومنكوبي الفيضانات وسائر النكبات والالمانيين المهاجرين البؤساء

ولا نطيل في تعداد صغار الموظفين في البلاط وافراد الخدم فقد كانوا اكثر من ان يحصوا . وهم ينتقون في الغالب من فرق المشاة ممن بلغوا درجة صف ضابط وعرفوا بحسن السلوك . ويفضل من كان حاملاً لوسام واصحاب الاجسام الكبيرة والبنيات القوية

قلنا ان لمارشالية البلاط اهميـة كبرى ونزيد الآن بسطاً وايضاحاً فنقول : كان من اختصاص المارشـال الاكبر استلام عرائض الطلب وفحصها وهي تكاد لايحصرها احصاء . ولقد قالوا ان الامبراطور يفض العرائض المرفوعة اليه بيده وهو خطأ . ولربما كان ذلك ممكناً في عهد فريدريك الكبير حين كان سكان المملكة لايزيدون على ستة ملايين وكانت العرائض المرفوعة الى الملك معدودة .

اما وقد اربى عدد سكان الامبراطورية على سبعين مليوناً وعرائض الطلب تتكدس اكداساً فيكاد يكون هذا التخمين مستحيلاً .

ثم من اختصاص المارشال الاكبر قبول الهدايا التي ترد الى القصر بلا انقطاع بداع ومن غير داع تطلباً للشهرة فقط وطمعاً في الحصـول على لقب « مورّد للقصر الامبراطوري » او متعهد ولذلك اصدر غليوم الثاني امراً قاطعاً برفض كل ما يرد الى القصر من الهدايا ولكنها مع هذا لم تنقطع

الامبراطور والامبراطورة في عهد الخطوبة

الفصل الثاني عشر

كيف كان يقضي غليوم الثاني نهاره

كان غليوم الثاني في حركته الدائمة ونشاطه مضرب المثل . فهو يأنف الراحة والبطالة وقدرته على العمل تكاد تكون معجزة . فاذا أراد أن يستريح من عمل عقلي ويريح دماغه لجأ الى عمل يدوي وهو ماهر في جميع أنواع الرياضات البدنية

ينهض من النوم الساعة الخامسة صباحاً فيستحم بالماء البارد . وهي عادة نافعة للجسم جداً اذا استطاع احتمالها . عودته اياها أمه وقد قلنا انها كانت انكليزية (بنت الملكة فكتوريا) . وبعد الحمام يلبس ثيابه حالاً . والساعة السادسة ونصف يتناول وجبة الطعام الاولى ويذهب تواً الى غرفة شغله حيث تكون الرسائل والمحررات الرسمية مكدسة اكداساً .

أما معاونوه فيكونون في مراكزهم الساعة السادسة ونصف فيذاكرهم في الامور المستعجلة الواجب انهاؤها في النهار ويذهب أحياناً نحو الساعة السابعة لمعانقة أولاده

ينظر الامبراطور اعتيادياً قبل الظهر في شؤون القصر الخاصة . أما في الايام غير الاعتيادية فيستقبل وزراءه وكبار موظفيه وقواده الساعة الثامنة ويقرأ تقاريرهم ويوقعها . وهو كثير التدقيق شديد الوطأة على موظفيه . ولا يجهل ذلك من نفسه فلهذا لا ينفك يقول لهم : اني أتعبكم ولكن لا سبيل الى غير ذلك . فأنا نفسي أقوم بمهمة خطيرة ويأبى عليَّ واجب الذمة أن أبتَّ في الامور على عجل

وقد يتفق أن تبسط بين يديه عشرات من المحررات لتوقيعها وكل منها يقتضي وقتاً للنظر فيه . في مثل هذه الاحوال يرجىء توقيع القسم الاكبر الى وقت آخر

وعند الساعة التاسعة اذا كان الطقس موافقاً يخرج متنزهاً في عربته ثم يتمشى والاَّ عدل الى الركوب . وهو فارس بارع وصياد ماهر . وقد يبقى على ظهر الجواد ست ساعات متوالية في أيام عرض الجيوش

وعند الساعة الحادية عشرة تستأنف المذاكرات ومراجعة التقارير والمقابلات من سفراء الدول والامراء وكبار الموظفين فيحادث كل واحد منهم بضع دقائق

وبعد الظهر يرد الامبراطور الزيارة لوزرائه وقواده وكبار موظفيه ويذاكرهم في شؤون الدولة . ثم يتفقد الثكن العسكرية والدوائر الادارية ويزور احد المصورين المشهورين فيأخذ رسمه واذا كان لديه متسع من الوقت يخرج في مركبته متنزهًا الى الساعة الخامسة أو السادسة

وعند الساعة السادسة ونصف يعود الى مفاوضة كبار موظفيه ويقرأ التقارير المطولة ويوقع بعض ما بقي من المحررات التي تلقاها في الصباح . وعند الساعة السابعة يتعشى مع اسرته . وبعد العشاء يقضي فترة من الزمن مع أولاده ثم يعود الى العمل . ونحو الساعة العاشرة يتناول وجبة خفيفة من الطعام (وهي الرابعة في النهار) ويدخل غرفة النوم. وبعد قليل يستدعي خادمه الخاص ليعاونه على نزع ثيابه

والى جانب السرير الامبراطوري منضدة عليها دائمًا ورق أبيض وأقلام رصاص ليقيد الامبراطور الملاحظات والافكار التي تعنّ له قبل أن تأخذه سنة الكرى أو بعد أن ينهض في الصباح

أما في الايام غير الاعتيادية فان الامبراطور يتقاضى من نفسه ما هو أعظم من ذلك واكثر مشقة . فاذا زار برلين ملك أو أمير كبير يضطر الامبراطور ان يقضي معه بضع ساعات في النهار بين حفلات ومآدب ونزهات . ومع ذلك فهو لا يكف عن رؤية كل المهام بنفسه . وفي مثل هذه الظروف ينهض من النوم الساعة الرابعة صباحًا ولا يتسنى له أن يدخل غرفة شغله قبل الساعة الحادية عشرة ليلقي نظرة على الجرائد والكتب الجديدة من علمية وأدبية وسياسية . ثم لا ينام الا بعد الحادية عشرة

ومثل ذلك في أيام التمرينات العسكرية وعرض الجيوش . فهو في القطار الحديدي يفحص التقارير ويوقع المحررات الرسمية

ثم ان الامبراطور ولوع بركوب البحر ولكنه لا ينقطع أبدًا عن العمل وهو على ظهر يخته « هوهنزولرن » وطول هذا اليخت ١٢١ متراً في عرض ١٤ متراً وعمقه

١ أمتار و ٨ ومحموله ٤١٨٧ طنًا وقوة آلاته تسعة الاف حصان وسرعة سيره عشرون ميلاً بحريًا ونوتيته ٢٧٠ . وهو مسلح بثلاثة مدافع سريعة الانطلاق من عيار ١٠ سنتيمترات واثني عشر مدفعًا من عيار خمسة

في صدر هذا اليخت يتألق التاج الامبراطوري وفي المؤخرة شعار آل هوهنزولرن اما الدوائر الامبراطورية فالى الميمنة . ودوائر الامبراطورة الى الميسرة .

وفي اليخت آلات للتقطير واصطناع الثلج والتنوير الكهربائي والات خصوصية للاطفاء

اما في البر فللامبراطور قطار خاص لرحلاته الداخلية قوامه تسع مركبات طول كل منها سبعة عشر متراً . وقد قدرت كلفة كل واحدة من هذه المركبات بما يتراوح بين خمسين وستين الف مرك (المرك فرنك وربع) . أما طول القطر كله فمئة وثلاثة وخمسون متراً عدا المسافات الفاصلة بين الملاطش . ويقطرها قاطرتان ضخمتان وكل واحدة منهن تحمل ٤٦٠ قنطاراً من الفحم . وهذه الرحلات وخصوصًا الخارجية كثيرة النفقات . اما في الداخل فان نظارة السكك الحديدية تستولي من الخزانة الخاصة سنويًا مبالغ تقل او تكثر بنسبة عدد المركبات والقواطر التي استعملت وذلك طبقًا للتعريفة العمومية . واما في الخارج فطبقًا الاتفاقات المرعية يتحتم على الملك الزائر أن ينفح خدم البلاط الذي يزوره مبالغ غير قليلة عدا الهدايا التي يقدمها الى الموظفين من دبابيس مرصعة او ساعات او ما جرى هذا المجرى مما يقدر بثلاثين او اربعين الف مرك في كل رحلة

الفصل الثالث عشر

العيد الوطني — وسام النسر الاسود

ليس عند الالمانيين عيد وطني على ما هو مفهوم من هذه العبارة . وانما يمكن اطلاق هذا اللقب على الحفلات التي اقيمت في اليوم الثاني والعشرين من شهر اذار – مارس سنة ١٨٩٧ بمناسبة التذكار المئوي لميلاد غليوم الاول الذي نودي به في فرسايل (فرنسا) امبراطوراً على المانيا وذلك بعد الحرب السبعينية . في ذلك اليوم احتفل بتدشين تمثال غليوم الاول بحضور الامبراطور والامبراطورة وملوك وامراء الامبراطورية الالمانية وكان يوماً مشهوداً غصت فيه شوارع برلين بالقادمين من جميع انحاء الامبراطورية لشهود هذا الاحتفال الكبير

أما التمثال فان الندوة الامبراطورية قررت باجماع الآراء عقيب وفاة غليوم الاول اقامته في احدى ساحات العاصمة الالمانية ثم الفت لجنة خاصة لتحقيق ذلك حتى اذا جاء ميعاد الدفع أحجمت الندوة عن تخصيص الثمانية ملايين من المركات اللازمة لهذا الغرض ولم ترض أن تجود الا بنصفها . فرضي النقاش رنهولد بيفاس الذي كان قد عهد في صنع التمثال اليه أن لايتجاوز هذه القيمة .

والتمثال مصنوع من الشبه (البرونز) وهو يمثل غليوم الاول في أواخر أيامه (بين السبعين والثمانين) لابساً بزة جنرال روسي وعلى رأسه خوذة . وهو راكب على جواده تقوده حورية جميلة في يدها غصن نخل . وعمود التمثال من الشبه أيضاً وهو ناتم على قاعدة صليبية الشكل من الحجر المحبب (الغرانيت) والى جانبيها أسدان رابضان وامام عمود التمثال ووراءه هذه الكتابة :

غليوم الكبير ملك بروسيا ١٨٦١ — ١٨٨٨

عرفان جميل ومحبة خالصة — الشعب الالماني

ثم في كل زاوية رموز للنصر وعن الجانبين رمزا السلام والحرب . فمن جانب

«الحرب» ويمثلها جواد قتال يطأ بسنابكه حقول الحنطة بين الزوابع والرعود . وامامه شيطانان يحمل احدهما سيفًا والآخر سوطًا . ومن جانب «السلام» وتمثله حسناء فتانة مرسلة الشعر على الكتفين يعبث به النسيم وهي نازلة من الجبال الى الوادي وعن جانبيها طفلان في يد احدهما غصن نخل وعلى رأس الثاني سل زهور هي الزهور التي يملأ بها السلام الحقول

أما علو هذا الاثر فخمس وستون قدمًا ونصف قدم . وعلو تمثال الملك على جواده تسع وعشرون قدمًا

والقى غليوم الثاني في هذا الاحتفال خطبة على عادته في كل موقف . فبعد أن ذكر نكبات مملكة بروسيا في عهد نابوليون الاول قال : واننا لنتأمل اليوم في دعة جدي وعاداته البسيطة وحبه لقضاء الواجب ولا نذهل عن انه كان ابن تلك الملكة النبيلة المحترمة الملكة لويزة التي قيل عنها انها استفادت في مدرسة النكبات والمصائب اكثر مما استفادت في مدرسة الفوز »

وهكذا ما برح غليوم الثاني ينتهز كل فرصة تسنح له لتذكير شعبه بانكساراته المتوالية في عهد امبراطور الفرنسويين الكبير نابوليون الاول اعداداً لهم لليوم العصيب فدارت عليه الدائرة وضاعت من يده تلك المملكة العظيمة التي خلفها له جده غليوم الاول

وسام النسر الاسود

يرتقي تاريخ وضع وسام النسر الاسود الى بدء القرن السابع عشر . أما واضعه فالملك فريدريك الاول سنة ١٧٠١ عقيب الاحتفال بتتويجه . وهو أعلى وسامات المملكة البروسية ولا يتناول غير درجة واحدة ويخول صاحبه الشرف الموروث مع رتبة شفاليه ودرجة ليوتنان جنرال (تعادل درجة فريق)

ففي السابع عشر من شهر كانون الثاني (يناير) من كل عام ينعقد مجلس وسام النسر الاسود ويستقبل بصورة رسمية الاعضاء الذين أخذوا الوسام في السنة المنقضية في حفلة باهرة جامعة كل اسباب العظمة والابهة والرواء . ثم في يوم الاحد الذي يلي

يحتفل في القصر الامبراطوري بأكبر الاعياد البروسية ويسمونه « عيد التتويج والوسام » ويدعى اليه كل حملة الاوسمة من جميع الطبقات والمراتب .

وتعقب هذا الاحتفال وليمة شائقة . فيدخل الامبراطور الردهة البيضاء تحيط به هالة من الوزراء والامراء والقواد وكبار الموظفين . ثم تمد الخوانات في ردهة الرسوم وأروقتها فيجلس اليها لا أقل من تسع مئة مدعو كلهم ممن تزين الوسامات صدورهم يجلسون كيفما اتفق صارفين النظر عن اختلاف المراتب والمقامات . وربما اتفق أن يكون الوزير بجانب الجاويش والقائد بجانب الصانع البسيط . وقبيل الانتهاء من الطعام تبتدىء الانخاب وهي على ما هو مالوف طويلة ومملة فان الامبراطور يشرب نخب من قلدهم الاوسمة وينتهز الفرصة ليفتن سامعيه ببراعته في الخطابة وتفننه في أساليبها وطرقه المواضيع المختلفة من حماسية وخيالية . وربما اندفع في تحمسه فتكهن عن المستقبل وعلل سامعيه ونفسه بالاماني والآمال العظيمة

ثم في عداد الاحتفالات الكبرى حفلة افتتاح مجلس الراشستاغ . وهي لاتختلف في شيء عن حفلة افتتاح الندوة البروسية (لاندتاغ) . وتبتدىء بحضور أعضاء البرلمان الكاثوليكيين والبروتستان حفلات صلاة فوق العادة في كنائسهم ثم يجتمعون في الردهة البيضاء وينتظرون الموكب الامبراطوري فيمر من امامهم وتكون غالباً الامبراطورة والامراء في الجملة . وربما حضر ايضاً ملوك السكس و بافاريا وورتمبرغ الخ . ثم يجلس الامبراطور على العرش (وحده) والامراء أنجاله عن يمينه ويساره وفي المقاعد التالية سائر امراء البيت الامبراطوري

ثم يسلم وزير الداخلية أو مستشار الامبراطورية خطبة العرش الى الامبراطور فيضع خوذته على رأسه ويقرأ الخطبة على أعضاء البرلمان المجتمعين . ثم بعد أن يختتمها بتحيـة نواب الامة يغادر الموكب الردهة البيضاء ويعود النواب الى مجلس الراشستاغ أو الى مجلس اللاندتاغ فيفتتحون الجلسات ويشرعون في المذاكرات

الفصل الرابع عشر

حديث لغليوم الثاني

زار غليوم الثاني – حين كان يدعى البرنس غليوم – باريز عاصمة الفرنسيس ثم لما تولى عرش الامبراطورية زار على التوالي عواصم انكلترا وايطاليا والنمسا وروسيا واسوج ونروج فكان في جميعها مظهراً لكل اكرام واعظام . بيد انهُ كان شديد الرغبة في زيارة باريز زيارة رسمية فتظاهر بالتقرب من فرنسا والتحبب اليها ولكن بالاقوال لا بالافعال متذرعًا الى ذلك بكل وسيلة كاشتراك الدولة الالمانية بمعرض باريز سنة ١٩٠٠ واسراع غليوم الثاني الى ارسال رسائل التعزية تلغرافيًا الى الحكومة الفرنسوية عقيب وفاة المارشال كانروبرت والمارشال مكماهون والرئيس سادي كارنو . وبهذه المناسبة اطلق سراح ضابطين فرنسويين كانا معتقلين في المانيا بتهمة الجاسوسية . ثم لما احترق سوق الشفقة في باريز وافتتحت جريدة الفيغارو اكتتابًا لاعانة المنكوبين جمع ما يزيد على مليون فرنك اشترك غليوم الثاني شخصيًا بالاكتتاب وتبرع لهذه الغاية بعشرة الاف فرنك . ولكن كل ذلك لم يجده فتيلاً لاعتبار الفرنسويين ان النفرة بين الامتين الجارتين لاتزول وان الجراح لاتلتئم الا باعادة الولايتين المنسلختين ونعني الالزاس واللورين الى صاحبتهما .

اما غليوم الثاني فقال بهذا الصدد : لست أنا الذي اوجد الحالة الحاضرة . وانما هو ميراث اتصل اليَّ ولا أظن ان أحداً يخطر له أن يقرعني على قبولي اياه . ثم أنا لم أفعل (وهذا الحديث يرتقي الى ما قبل عشرين سنة أي قبيل معرض سنة ١٩٠٠) ما يزيد الحالة تلك استفحالاً وانما اجتهدت ما استطعت في التقريب بين الامتين من الوجهتين الصناعية والتجارية فلم أفز من هذا المرام بطائل لان البعض قابلوا مسعاي بما دل على قلة خبرة وكفاءة والبعض الآخر قدَّره حق قدره ولكن لم تكن له جرأة ولا سلطة لتحقيقه »

ثم تطرق الامبراطور الى ذكر ما يوجس منهُ خوفًا على مستقبل اوربا فقال : أتوقع أن يداهم اوربا خطر مزدوج أو بالاحرى خطران . لا أعني بالخطر الاول الخطر الأصفر فان الحوادث الأخيرة قد أمَّنتنا جانبه ولا أعني الخطر الاحمر لانهُ مستند الى المحال والاوهام والى اغتصاب حق السوى وهو ما أرى العالم بجملتهِ متحد لمناهضتهِ واتقاء شره . وانما أعني من جهة خطر التبسط المستمر في الاستعمار الذي يتهدد اوربا على يد واحد من عناصرها متذرع بكل ما مهدت له المدنية السبيل اليه من وسائل التدمير والخراب تحقيقًا لمطامعه . وأعني من جهة أخرى خطر العالم الجديد الذي بدأ يظهر من القابلية ما لم نره منهُ الى هذا اليوم . ولعله لا يحجم غداً

شقائق غليوم الثاني الاربع

(١) فكتوريا دي شامبورغ ليب وهي الشقيقة الثانية (٢) شرلوت دي سكس مينتجن وهي الكبرى (٣ و٥) صوفيا دروتيه قبل اقترانها بولي عهد اليونان وبعده وهي الثالثة (٤) مرغريت دي هس وهي الرابعة

عن التدخل في شؤون العالم القديم فيتصادم في منتصف الطريق مع مطامح ذوي المطامع بيننا . هذا ما أخشاه وما أسعى الى اتقائهِ غير مغتر بمطامع يعزونها اليَّ ليتذرعوا بها الى اقلاق سلام اوربا بحجة انهم يريدون أن يمنعوني من أن أقلقه أنا (ه)

هذا كان حديث غليوم الثاني من نحو عشرين سنة . وانما هو قد أراد بهِ التزلف الى فرنسا واستدراجها الى موافقته على سياسته ليتهيأ له بمؤازرتها أن يحافظ على الميراث الذي أورثهُ اياه أبوه وجده وأن يقف في وقت معاً في وجه الدولة التي ذكر انهُ يخشى تبسطها في الاستعمار وتذرعها بكل ما تمهد لها المدنية السبيل اليهِ من وسائل التدمير والخراب . وغني عن البيان انهُ كان في ذلك الوقت يعني بهذه الدولة انكلترا التي كان يراها أكبر أعدائهِ

ومما يؤثر ذكره في هذا الصدد عن دهاء غليوم الثاني سعيه في توسيع الخرق بين فرنسا وانكلترا . وكان التنافس بين هاتين الدولتين بالغاً حده فرأى أن يتذرع لهذه الغاية بالمسألة المصرية . فوعد فرنسا بمساعدتها على اخراج الانكليز من مصر على شرط أن توافق له موافقة نهائية على معاهدة فرنكفورت ولا تعود تعلل النفس باسترجاع الالزاس واللورين ذات يوم . . . بيد ان فرنسا لم تجز عليها خدع غليوم الثاني ولم تخفَ عليها رغبته في الاستعمار في افريقيا — وهو الامر الذي كانت انكلترا تناهضه بكل قوتها — وأبت (ونعني فرنسا) أن تجعل صداقتها وسيلة لخدمة المصالح الالمانية